هل الحرب الإسرائيلية ـ الأمريكية علي إيران مباراة صفرية أم تفاعل فائق؟

إعداد/ إسراء أبو النصر

أمين سر وحدة السياسات الخارجية والأمن القومي

مارس 2026

هل الحرب الإسرائيلية ـ الأمريكية علي إيران مباراة صفرية أم تفاعل فائق؟

إعداد/ إسراء أبو النصر

أمين سر وحدة السياسات الخارجية والأمن القومي

منذ بدء العمليات العسكرية الإسرائيلية ـ الأمريكية علي إيران، ازداد الجدال حول ما إذا كانت المواجهات استراتيجية كلاسيكية **ذات محصلة صفرية (zero – sum game)** أم نظام معقد شديد التفاعل يشمل جهات فاعلة متعددة **وعوائد فائقة متعددة المستويات (hyper interaction)**. حيث تتفاعل الأطراف المشاركة (إيران ـ إسرائيل ـ الولايات المتحدة ـ دول مجلس التعاون الخليجي ـ الصين وروسيا).

فقد صرح الرئيس ترامب أن الهدف من وراء العمليات العسكرية منع إيران من امتلاك سلاح نووي، ودعا الإيرانيين إلي اغتنام فرصة لا تتكرر إلا مرة واحدة فقط، ملمحاً إلي أن الهدف النهائي من وراء تلك العملية هو تغيير النظام.

تشكل الضربات الأخيرة المواجهة العسكرية المباشرة الثانية التي تشنها إدارة ترامب ضد إيران في أقل عام من منطلق **المنظور الصفري** ، فالضربة الأولي كانت في يونيو 2025م، أثناء المفاوضات بين طهران وواشنطن حيث شنت تل أبيب هجماتها التي أشعلت فتيل مواجهة عسكرية أستمرت لمدة 12 يوم، والتي انتهت بتوجيه واشنطن ضربات للمواقع النووية الإيرانية الرئيسية الثلاث في نطنز ـ فوردو ـ وأصفهان، ما تسبب بأضرار جسيمة وتعطيل كبير للبرنامج النووي الإيراني.

أمل ترامب لعودة إيران إلي طاولة المفاوضات والموافقة علي شروط من شأنها أن تجعل إيران تابعة للولايات المتحدة، علي رأسها تخلي إيران عن حقها في تخصيب اليورانيوم وتفكيك البرنامج النووي وفق مبدأ عدم التخصيب، وتسليم ما يقارب 440 كيلو جرام من اليورانيوم المخصب بنسبة 60%، وفرض قيود علي برنامجها الصاروخي (بعيدة المدي التي تتراوح بين 300 و500 كيلو متر) بحيث لا تتمكن من الوصول إلي إسرائيل، ووقف الدعم لحلفائها الإقليميين، مقابل الرفع التدريجي للعقوبات الأمريكية المفروضة علي إيران، إلا أن إيران ظلت غير متأثرة بالمطالب الأمريكية رغم قبولها للعودة إلي طاولة المفاوضات.

وبأندلاع الاحتجاجات الشعبية واسعة النطاق داخل إيران في ديسمبر 2025م بسبب انخفاض قيمة العملة وأرتفاع الأسعار، والتي تحولت إلي مطالبات بتغيير النظام مصحوبة بأعمال عنف، لترد السلطات بقمع المتظاهرين باستخدام القوة المميتة والاعتقالات الجماعية وقطع الانترنت، ما جعل إدارة ترامب تري في تلك الاحتجاجات فرصة لإعادة ضبط معادلة الضغط والتفاوض مع إيران، ودعا ترامب المتظاهرون بالسيطرة علي مؤسسات الدولة، علي وعد بأن المساعدة قادمة، إلا أنه تراجع عن تصريحاته لعدم كفاية القوات في منطقة الشرق الأوسط لشن هجوم علي إيران واستيعاب ردها، كما مارست دول الخليج وتركيا ضغوطاً لتجنب الحرب.

بدأت جولة مفاوضات **"دبلوماسية القوة"** والتي كانت استعراضية في مجملها من أجل إعطاء الفرصة لترامب لزيادة الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة، ولفترة ما ساد التفاؤل من إمكانية التوصل إلي أتفاق يجنب المنطقة بأكملها مواجهة عسكرية شاملة، وصرح وزير

الخارجية العماني أن إيران وافقت علي نقل كامل مخزونها من اليورانيوم المخصب إلي الخارج، والقبول بنظام تفتيش صارم لمنشآتها النووية.

إلا أن الحرب أندلعت، ما يعني أن إسرائيل والولايات المتحدة كانت تخشي الوصول إلي تسوية، وبحسب التقارير استغلت واشنطن وتل أبيب معلومات استخباراتية تشير إلي انقعاد أجتماع لكبار القادة السياسيين الإيرانيين في صباح يوم السبت 28 فبراير 2026 في مقر إقامة المرشد الأعلي علي خامنئي، ما يعني أن الهدف الأساسي هو إسقاط النظام الإيراني.

هل تعني الحرب إزالة كافة أركان استراتيجية "الركائز المزدوجة - twin pillars twin " في غرب آسيا ضمن المنظور الصفري ؟

ظل البرنامج النووي الإيراني نقطة خلاف بارزة بين طهران وواشنطن، ومع انسحاب ترامب من الاتفاق النووي الذي وقع في إدارة أوباما عام 2015م، ومع فشل محاولات إدارة بايدن لإحياء الاتفاق أو التوصل إلي صيغة مماثلة، لجأت إدارة ترامب إلي سياسة **"الضغط الأقصى"** معلنة أنها لن تتردد في اللجوء إلي القوة في حالة فشل الجهود الدبلوماسية في الوصول إلي الاتفاق الذي يسعي إليه.

ويظل بجانب الملف النووي ملف الصواريخ الباليستية الذي تطوره طهران، نتيجة لضعف قواتها الجوية، وتعد كل تلك الدوافع هي العوامل المباشرة وراء الهجوم الإسرائيلي ـ الأمريكي، ما يجعلها تتجاوز الاعتبارات العسكرية والنووية، تعكس تلك الأفعال مراهنة ترامب علي التحولات الداخلية في بنية النظام الإيراني، خاصة بعد إلحاقه أضرار بالغة بهيكل النظام الإيراني السياسي، وتقويض القيادة ومراكز قوتها، خاصة بعدما أعتبرت أن النظام الإيراني هش وأنها أمام فرصة لإعادة تشكيل المشهد السياسي الإيراني من خلق الظروف المواتية للتغيير الهيكلي.

عززت كل تلك الاحداث قناعة داخل إدارة ترامب أن بالإمكان تنفيذ عملية عسكرية منخفضة التكاليف نسبية للتخلص من النظام الإيراني، فالانتصار يعني زوال التهديد الإيراني بالكامل، إلا أن التجربة تشير أن تلك الاستراتيجيات غالباً ما تؤدي إلي الفوضى أو الحرب الأهلية أو كلاهما، فلا يوجد بديل حالي للنظام الإيراني الحاكم، كما أن الإدارة الأمريكية لا تبدو علي استعداد لنشر قوات برية لإدارة عملية انتقال السلطة، علي عكس ما حدث في العراق، ما يعكس غياب الرؤية الأمريكية الواضحة لما بعد الحرب، وعدم الاهتمام بمصير الدولة الإيرانية.

ما يعني فقدان واشنطن أحد أركان استراتيجية **"الركائز المزدوجة - twin pillars policy"**، والتي أعتمدها نيكسون في السبعينات لضمان أمن الخليج واستقرار تدفق النفط دون تدخل عسكري أمريكي مباشر، والتي ارتكزت آنذاك علي إيران والسعودية كشرطيين للمنطقة ولحماية المصالح الغربية، في عهد الشاه محمد رضا بهلوي.

لجأت واشنطن لتلك الاستراتيجية بعد خسائرها في حرب فيتنام، والانسحاب البريطاني من شرق السويس عام 1971م، والذي خلق فراغ أمني في الخليج من خلال حلفاء محليين، ومنع الاتحاد السوفيتي من الوصول للمياه الدافئة (الخليج العربي)، وانهارت تلك الاستراتيجية تماماً

في العام 1979م مع الثورة الإسلامية، والغزو السوفيتي لأفغانستان، ما دفع واشنطن لاستخدام القوة العسكرية المباشرة للدفاع عن مصالحها في الخليج ما عرف بـ" **عقيدة كارتر**".

تسعي واشنطن لإعادة العمل بالاستراتيجية اعتماداً علي ركيزتي (إسرائيل والدول العربية)، حيث أنتقلنا من استراتيجية **"الاحتواء والحرب بالوكالة"** إلي **"المواجهة العسكرية المباشرة"**. إلا أن إدارة المواجهة تقع ضمن نطاق التفاعل الفائق، فالمواجهة هنا ليست جيشين يتقابلان في ساحة معركة، بل شبكة معقدة من التفاعلات اللحظية في ميادين متعددة في وقت واحد (طهران ـ جنوب لبنان ـ دول التعاون الخليجي ـ إسرائيل) وكل فعل في ساحة يؤدي لرد فعل فوري في ساحة أخري، كما تشمل الهجمات محطات الطاقة وأنظمة الدفاع والقواعد العسكرية والمناطق المدنية، كما أن التفاعل لا يقتصر فقط علي الولايات المتحدة وإسرائيل وإيران بل دخول القوي الدولية (الصين وروسيا) والتي تراقب مصالحها في المنطقة عن كثب.

ما هو مصير النظام الدولي في ظل الحرب الإسرائيلية ـ الأمريكية علي إيران ؟

بينما وعد بوش بنظام عالمي قائم علي القواعد تسوده الديمقراطية تهيمن فيه الولايات المتحدة، قد تغير الحرب علي إيران ملامح النظام أحادي القطبية إلي نظام متعدد الأقطاب، وقد تكون هذه الحرب تمهيد لما سيحدث في الخمس وعشرون عاماً القادمة، كما مهدت حرب الخليج في العام 1991م، كما يمكن القول أن الحرب علي إيران قد تكون في الواقع تدور حول الصين، فالصراع كشف عن عالم متعدد الأقطاب لم تعد الولايات المتحدة قادرة علي حشد تحالفي واسع النطاق كما كان في حروبها السابقة، كما تكشف الحرب علي إيران علي تراجع قدرة الولايات المتحدة علي فرض رؤيتها للنظام العالمي.

كما تقوم بكين بتقديم نفسها كقوة مستقرة معنية باستقرار النظام الدولي، وكقوة دولية تدافع عن الاستقرار والحلول الدبلوماسية في مواجهة التدخلات العسكرية الأمريكية، فالتفاعلات العالمية تكشف عن تعقيدات وتشتيت مما كانت عليه في السنوات السابقة، فلم تعد التحالفات الدولية تتبع الخطوط التقليدية الواضحة بين الشرق والغرب، بل أصبحت تتوزع وفقاً لحسابات الأمن والاقتصاد والجيوسياسية المتعددة.

كما أن الحرب الإسرائيلية ـ الأمريكية علي إيران مؤشر علي انقسام عالمي جديد، لا يعتمد فقط علي التحالفات التقليدية بل أيضاً علي المصالح الإقليمية والحسابات الاستراتيجية التي تختلف بين دولة وأخري، وهو ما أتضح من تباين ردود الفعل الدولية تجاه العمليات العسكرية علي إيران، علي رأسها فرنسا وبريطانيا واسبانيا.

من هو صاحب الاستفادة الكبري ضمن استراتيجية التشبع الصاروخي ـ missile saturation" في الحرب؟

يقع الاستنزاف المستمر للترسانة الأمريكية ضمن ما يعرف بـ**"اللعبة التكتيكية**، وهي رؤية تحليلية مثيرة للجدل، تعتمد في تحليلها علي استدراج الولايات المتحدة وإسرائيل لاستنزاف ترسانتهما الصاروخية علي عدد من الأهداف الوهمية، ما يجبر الصواريخ الأمريكية علي قصف أهداف غير موجودة ما يلحق خسائر مادية وعسكرية فادحة، واستنزاف الدفاعات الجوية (القبة الحديدية ـ مقلاع داود ـ الباتريوت) ما يؤدي إلي إحداث نوع من **"الإرهاق التكنولوجي"** والذي يعتمد علي مبدأ الكم للتغلب علي الكيف، من خلال الدفع بالعديد من الأسلحة لإرهاق الدفاعات (المسيرات رخيصة التكلفة ـ صواريخ الغراد والكاتيوشا ـ الصواريخ الباليستية

والمجنحة)، وتمنع تلك الاستراتيجية تحقيق (النجاح الصفري) والاتجاه نحو (المتعدد الفائق)، فتحولت الحرب من **"من يمتلك السلاح الأفضل"** إلي **"من يمتلك مخزون أكبر ويتحمل تكلفة أطول"**.

تستفيد الصين من تلك الحرب من خلال جمع البيانات لترددات الرادارات الحديثة وأساليب تشغيل صواريخ **"الاعتراض الهجومية"** وهو ما يمنح بكين ميزة استخباراتية وعسكرية لتطوير أنظمة تشويش مستقبلية تساعدها في ملف تايوان.

في النهاية تعد الحرب الإسرائيلية ـ الأمريكية علي إيران صراع عالي المخاطر حيث يسير كلا الطرفين نحو بعضهما البعض بسرعة عالية علي طريق ضيق دون أن يبدي أي الطرفين الاستعداد للانحراف لتجنب الاصطدام، فنحن أمام أربع سيناريوهات:

- أن تعلن إيران انهزامها ما يعني انتصار الولايات المتحدة وإسرائيل.
- أن تعلن الولايات المتحدة وإسرائيل انهزمهما ما يعني انتصار إيران.
- أن يعلن كلا الطرفين الوصول إلي اتفاق دون نصر حاسم ما يحفظ ماء الوجه لكلا الأطراف.
- أن يستمر كلا الطرفين في مسار الاصطدام الكارثي (النتيجة الصفرية) وهي النتيجة الاسوأ لكل الأطراف المباشرة وغير المباشرة في الحرب.

تراهن إيران عبر التصعيد باستخدام استراتيجية التشبع الصاروخي علي خوف الولايات المتحدة من حرب إقليمية تدمر الاقتصاد العالمي في ظل إغلاق مضيق هرمز وتأثيره علي الاقتصاد العالمي وسلاسل الإمداد، بينما تراهن الولايات المتحدة علي خوف النظام الإيراني من الزوال أكثر من الهيبة لذا ترفع من وتيرة الضربات المباشرة لإجبار طهران علي التنازل عن البرنامج النووي.

يتطلب إنهاء الحرب اقتناع جميع الأطراف أن ثمن الاستمرار في الحرب يعني الموت، وهو أكبر بكثير من فقدان الهيبة.